مسيرات العودة: تحدّيات الواقع وآفاق المستقبل

منصور أبو كريم

بمناسبة ذكرى يوم الأرض الثانية والأربعين، أطلق الشعب الفلسطينيّ تحرُّكًا سلميًّا هدفه وضع حقّ أبنائه في العودة على جدول أعمال المجتمع الدوليّ. جاءت فكرة مسيرات العودة الكبرى في ظلّ ظروف محلّيّة فلسطينيّة وعربيّة وإقليميّة ودوليّة فائقة الصعوبة والتعقيد، وقد رافق ذلك التحوُّلُ النوعيُّ في الموقف الأمريكيّ تجاه القدس، الذي عبّر عنه قرار الرئيس الأمريكيّ بنقل السفارة الأمريكيّة إلى القدس والاعتراف بها عاصمة لإسرائيل.

الدعوة إلى مسيرة العودة انطلقت من المجموعات الشبابيّة في غزّة، حيث دُعيَ إليها من خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ، ومن ثَمّ تبنّتها الفصائل الفلسطينيّة، وعملت على إنجاحها من خلال تشكيل لجنة وطنيّة عليا ضمّت قوى مدنيّة وفصائل ومنظّمات حقوقيّة.

أثار الجدل الداخليّ والخارجيّ حول المسيرات، بعد أن فرضت نفسها على الساحة السياسيّة الفلسطينيّة والإقليميّة والدوليّة، وردّ الفعل الإسرائيليّ العنيف والتحدّيات التي وقفت أمامها، أثار جملة من التساؤلات: ما هي مسيرات العودة؟ ما هي دوافعها؟ وما أبرز التحدّيات التي وقفت في طريقها؟ وما هو مستقبلها؟

يتناول هذا المقال بعض هذه التساؤلات، ويؤكّد أو يدّعي أنّ أكثر التحدّيات التي عانت منها مسيرات العودة عقب الجمعة الأولى كان تراجُع الزخْم الشعبيّ على نحوٍ لافتٍ، على الرغم من اندفاع الشباب إلى المواجهة مع قوّات الجيش الإسرائيليّ على الحدود، إلّا أنّ الصورة عبر شاشات التلفاز كانت تؤكّد تراجع حدّة الزخْم الشعبيّ عقب الجمعة الأولى التي صادفت ذكرى يوم الأرض (2018/3/30)، وهذا يعود إلى عدّة اعتبارات؛ أهمّها الإجرام الإسرائيليّ والقتل العمد وتحويل مسار المسيرات من العودة إلى كسر الحصار، وتَصَدُّر حركة حماس المشهد -وبخاصّة في ظلّ استمرار الانقسام الفلسطينيّ.

أوّلًا: ماهيّة مسيرات العودة

مسيرات العودة الكبرى هي شكل من أشكال النضال الوطنيّ الفلسطينيّ، وهي استمرار لحالة النضال الفلسطينيّ الممتدّ منذ عام 1917 حتّى الوقت الراهن، أبدع خلالها الشعب الفلسطينيّ في التقاط الفرص

لمواجهة التحدّيات الجمّة التي تعترض طريق القضيّة الفلسطينيّة، وبخاصّة عقب الموقف الأمريكيّ الأخير من القدس.

تُعتبر مسيرات العودة أبرزَ عمل جماهيريّ منظّم قام به الشعب الفلسطينيّ خلال السنوات الأخيرة. تقوم فكرة المسيرة على سير اللاجئين في اتّجاه الحدود بين قِطاع غزّة وإسرائيل ابتغاءَ تذكير العالم بحقّ العودة المستنِد إلى القرار الأمميّ ذي الرقم 194.[1] وجاءت فكرة المسيرات تأكيدًا لحقّ عودة اللاجئين الفلسطينيّين إلى ديارهم وممتلكاتهم. وسعت هذه المسيرات إلى إعادة الاعتبار لهذا الحقّ ووضعه -من جديد وبقوّة- أمام العالم.[2] وكانت اللجنة الوطنيّة العليا لمسيرة العودة الكبرى قد نشرت على موقعها الرسميّ المبادئ العامّة التي ستقام عليها مسيرات العودة، حيث أوضحت اللجنة تعريف المسيرات "بأنّها عمل جماهيريّ منظّم يستند إلى ركائز قانونيّة شرعيّة راسخة ومنطلقات إنسانيّة واضحة تنطلق بها جموع اللاجئين الفلسطينيّين في مسيرات حاشدة بصدور عارية لا تحمل سلاحًا ولا تلقي حجرًا هدفها الوحيد تطبيق الفقرة رقم 11 من القرار الصادر عن الأمم المتحدة رقم 194 الذي ينصّ على عودة اللاجئين الذين هُجّروا من ديارهم قسريًّا عام 1948 إلى بلداتهم وديارهم بطريقة سلميّة".[3]

ثانيًا: أسباب ودوافع المسيرات

انطلقت مسيرات العودة في ظلّ ظروف محلّيّة فلسطينيّة وإقليميّة ودوليّة بالغة الصعوبة والتعقيد؛ فمنذ دخول الرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب البيت الأبيض، حدثت مجموعة من التطوّرات والتحوّلات الإستراتيجيّة، سواء أكان ذاك في ما يتعلّق منها بتحوُّل الموقف الأمريكيّ من القدس عقب قرار الرئيس ترامب بنقل السفارة الأمريكيّة إليها والاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، أم كان في ما يتعلّق بالتحوُّلات الإستراتيجيّة في البيئة العربيّة والإقليميّة بعد التقارب غير المعلن بين بعض الدول العربيّة وإسرائيل.

بعد سبعين عامًا من الانتظار، قرّر الشعب الفلسطينيّ -في الوطن والشتات- أخْذ زمام المبادرة، مستندًا إلى تجارب شعوب كثيرة خاضت مثل هذا النوع من النضال السلميّ ضدّ الظلم والعدوان، إضافة إلى التأكيد على قواعد القانون الدوليّ وقرارات الشرعيّة الدوليّة؛ فعلى الرغم من كلّ ما يعتري المجتمع الدوليّ من الانحياز -وخاصّة في حالة "إسرائيل"- فإنّ القرارات الدوليّة، سواء تلك الصادرة عن الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة أَم تلك الصادرة عن مجلس الأمن، جاءت لتؤكّد في مناسبات عديدة حقّ الفلسطينيّين الثابت في عودتهم إلى أراضيهم وديارهم التي هُجّروا منها، ولعلّ أشهَر هذه الوثائق هو القرار الأمميّ ذو الرقم 194 الصادر في ديسمبر /كانون الأوّل عام 1948، أي بعد النكبة ببضعة شهور فقط.[4]

جاءت مسيرة العودة الكبرى لتقف في وجه مشروع تصفية القضيّة الفلسطينيّة عبْر صفقة القرن (أو ما أفضّل تسميته بصفقة ترامب) التي بدأت تستكمل تشكيل إطار سلام إقليميّ، وإبعاد القدس كلّيًّا عن طاولة التفاوض،

---

[1] عاصي، سجود. (2018، 20 آذار). ما هي محطّات مسيرة العودة التي تعتبرها إسرائيل تهديدًا لوجودها؟ **الحدث**. رام الله

[2] قاسم، عبد الستّار. (2018، 2 شباط). مسيرات العودة. سلاح مؤثّر يضعفه الانقطاع. **الجزيرة نت**.

[3] بيسان. (2018، 18 آذار). تحوُّل مسيرة العودة الكبرى ومبادئها العامّة. **بيسان**.

[4] نعيم، باسم. (2018، 30 آذار). مسيرات العودة، الشعب الفلسطينيّ يأخذ زمام المبادرة. **الجزيرة نت**.

وتصاعد خطوات ضمّ معظم الضفّة الغربيّة إلى "إسرائيل"، ومحاولة تصفيّة وكالة الأونروا كخطوة أولى نحو شطب قضيّة اللاجئين وحقّ العودة.[5] لقد امتلكت مسيرة العودة القدرة الجماهيريّة على تجسيد ردّ فعلٍ قويّ وجازم على قرار الرئيس الأمريكيّ ترامب، الذي اعتبر القدس عاصمة إسرائيل، وعلى صفقة القَرن الرهيبة والمريبة التي يجري الترويج لها في الأوساط العربيّة والدوليّة قبل ولادتها بكلّ ما فيها من تشوُّهات صادمة للطرف الفلسطينيّ. مسيرة العودة، بكل زخْمها وصوتها القويّ، أثبتت أنّ اعتبار القدس عاصمة إسرائيل ما هو إلّا حبر على ورق سيُطمس بدم شهداء العودة.[6]

كذلك ثمّة عوامل أخرى أدّت إلى انطلاقة مسيرة العودة، أبرزها صعوبة الأوضاع الإنسانيّة في قِطاع غزّة. وهنا يرى الأستاذ هاني المصري، مدير عامّ مركز "مسارات"، أنّ المفجِّر الرئيسيّ لِما يجري في قِطاع غزّة حاليًّا هو الحصار الظالم والمتفاقم الذي يتعرّض له القِطاع، وأوصله إلى العيش في الجحيم، وما جعل الأمرَ يتفاقم هو الإجراءات العقابيّة من السلطة الفلسطينيّة.[7]

صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكيّة هي كذلك أكّدت على الدوافع المحلّيّة لمسيرات العودة، وقالت إنّ حركة حماس في قِطاع غزّة تواجه أسوأ أزماتها منذ عدّة سنوات، لافتةً إلى أنّها تعاني أزمة ماليّة، وفقدانًا للحلفاء، وعدم وجود طريقة مناسبة لتخفيف الحصار، فهي عالقة وتريد إنهاء المعاناة بأيّ طريقة. وأوضحت الصحيفة أنّه بينما تعاني الحركة من هذا المأزق، تحاول الحركة توجيه الغضب صوب إسرائيل، عن طريق تشجيع الاحتجاجات الجماهيريّة الأسبوعيّة على طول سياج غزّة الحدوديّ، لكن دون إثارة ردّ عسكريّ شامل -على حدّ تعبير الصحيفة الأمريكيّة.[8]

وفي الشأن نفسه، يرى الدكتور أحمد يوسف، القياديّ البارز في حركة حماس، أنّ الضغوط المتزايدة جرّاء الحصار، وإجراءات السلطة بشأن غزّة، وصلت بالأمور إلى أوضاع لا يمكن تحمُّلها وتنذر بالانفجار- فكانت القناعة لدى الشارع الفلسطينيّ أنّه إذا كان لا بدَّ من وقوع الانفجار فليكن في وجه الاحتلال، باعتباره المسؤول بالدرجة الأولى عن الأوضاع الكارثيّة التي يمرّ بها القِطاع، وإضعاف قدرات المقاومة على الصمود والتحدّي، ودفعها إلى الاستسلام لمشاريع التسوية المشبوهة.[9]

تعدّدت الأسباب والدوافع التي جاءت خلف انطلاقة مسيرات العودة، التي اعتُبِرت أهمّ فعل شعبيّ وسياسيّ قام به الشعب الفلسطينيّ خلال العَقد الأخير. هذه الأسباب تنوّعت حسب أهداف ودوافع الجهات التي نادت بها وعملت على انطلاقها. كان من هذه الأسباب الوقوف في وجه المخطّطات الأمريكيّة بتمرير صفقة القرن وتمرير احتفالات نقل السفارة الأمريكيّة دون اعتراضات تُذكر. في المقابل، رأى البعض الآخر في مسيرة العودة فرصة للهروب من الوضع المتردّي في غزّة، وفرصة للهروب من إجراءات السلطة الفلسطينيّة في أعقاب صدور قرار الرئيس الفلسطينيّ بوقف الرواتب والمخصّصات، في محاولة لإرغام حركة حماس على تمكين حكومة التوافق الوطنيّ من إدارة القِطاع بصورة كاملة.

---

[5] المدهون، محمّد. (2018، 7 نيسان). "مسيرات العودة". نضال يحْيي القضيّة ويربك الاحتلال. **الجزيرة نت**.

[6] البتّيري، علي. (2018، 5 نيسان). مسيرة العودة وصفقة القرن. **الجزيرة نت**.

[7] المصري، هاني.(2018، 15 نيسان). **مسيرة العودة ما بين الاستثمار السريع وعدمه**. المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجيّة–مسارات. رام الله.

[8] دنيا الوطن. (2018، 2 حزيران). صحيفة أمريكيّة: حماس في غزّة تواجه أسوأ أزماتها منذ سنوات. **دنيا الوطن**.

[9] يوسف، أحمد. (2018، 29 آذار). مسيرة العودة الكبرى: الفكرة والهدف ونبض الشارع. **وكالة سما الإخباريّة**.

ثالثًا: تحدّيات التجربة

عانت مسيرات العودة خلال الفترة القصيرة الماضية من عدد من التحدّيات التي وقفت حائلًا أمام استمرار وتطوُّر هذه المسيرات في طريق تحقيق أهدافها الوطنيّة المشروعة في الاستقلال والحرّيّة. ويمكن لنا تحديد أهمّ التحدّيات التي وجّهت المسيرات في النقاط التالية:

الإجرام الإسرائيليّ بحقّ المتظاهرين

وقَفَ الاحتلال الإسرائيليّ، بكلّ أجهزته الأمنيّة والسياسيّة والعسكريّة على أهبة الاستعداد، يراقب التطوّرات الميدانيّة والسياسيّة، ويتابع الأحداث عن كثب خوفًا من انفجار سكّانيّ وشيك نحو الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948. وهذا ما حذّر منه رئيس أركان جيش الاحتلال "الإسرائيليّ"، چادي آيزنكوت، أنّ احتمال انفجار ما أسماه "الحلبة الفلسطينيّة" مرتفع جدًّا، مع اقتراب مسيرات العودة الكبرى، تجاه الأراضي المحتلّة عام 1948. ونقلت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبريّة، عن رئيس هيئة الأركان الإسرائيليّ الجنرال آيزنكوت قوله إنّه على ضوء التوتّر الحاصل في الجنوب (على حدود غزّة)، "فإنّ على الجيش الإسرائيليّ أن يكون متيقّظًا ومستعدًّا لأيّ سيناريو. أمامنا الكثير من التحدّيات، وفي حال حدوث أيّ تطوّر على الجيش الردّ بقوّة وحزم".[10]

نظرت "إسرائيل إلى هذه المسيرات على أنّها تهديد وجوديّ لها، ولذا كان الفضُّ الخشن (الدمويّ) للتظاهرات الشعبيّة السمةَ الأبرز للتعاطي الإسرائيليّ مع المتظاهرين في مناطق قِطاع غزّة المحاصَر كافّة".[11] لقد أرعبت دعوات الخروج للمشاركة في مسيرة العودة الكبرى قيادات جيش الاحتلال الإسرائيليّ خشية من الوحدة الفلسطينيّة والتحرّك للمطالبة بحقّ العودة الذي نصّت عليه القرارات الأمميّة، ولا سيّما القرار 194 الذي بموجبه قُبِلت إسرائيل عضوًا في الأمم المتّحدة. حالة الرعب التي سيطرت على القيادات الإسرائيليّة، بسبب وحدة الفلسطينيّين وإصرارهم على هدف واحد، دفعت بوزير الدفاع الإسرائيليّ أڤيچدور ليبرمان إلى وضع قنّاصين على الحدود المشتركة مع غزّة، وإلى الإعلان عن المنطقة الحدوديّة منطقة عسكريّة مغلقة.[12]

وكانت حصيلة الإجرام الإسرائيليّ في الجمعة الأولى (2018/3/30) سقوط 18 شهيدًا وإصابة 1,800 جريح، وأعلنت الهيئة الوطنيّة العليا لمسيرة العودة في قِطاع غزّة أنّ الجمعة (30 آذار) هي البداية، مؤكِّدةً مواصلة الاعتصام والتظاهر على الخطّ العازل وصولًا إلى يوم "الزحف العظيم".[13] وبعد مرور شهرين على انطلاقة المسيرات، أعلن الدكتور أشرف القدرة المتحدّث الرسميّ باسْم وزارة الصحّة في غزّة إحصائيّة محدَّثة يوم 2018/5/30، بشأن اعتداءات قوّات الاحتلال الإسرائيليّ خلال مسيرة العودة الكبرى من الفترة

---

[10] المركز الفلسطينيّ للإعلام. (2018، 27 آذار). آيزنكوت: الوضع على حدود غزّة قابل للانفجار. **المركز الفلسطينيّ للإعلام**.

[11] صقر، أحمد. (2018، 25 أيّار). تقرير صحفيّ بعنوان: محلّلون: مسيرات العودة بغزّة أنجزت في جوانب وأخفقت بأخرى. **عربيّ 21**.

[12] جمعة، أحمد. (2018، 30 آذار). مسيرة العودة الكبرى تزلزل إسرائيل. **اليوم السابع**.

[13] المصدر، ميسون. (2018، نيسان). مسيرات العودة: مواقف فلسطينيّة وعربيّة ودوليّة. مركز رؤية للدراسات السياسيّة والإستراتيجيّة. غزّة . ص. 5.

الممتدّة بين الـ 30 من آذار حتّى الـ 30 من أيّار، تفيد بسقوط 119 شهيدًا وإصابة 13,300 بجراح مختلفة، من بينها 330 إصابة خطيرة.[14]

استمرار الانقسام الفلسطينيّ

يشكّل الانقسام الفلسطينيّ وتشتُّت الحالة الفلسطينيّة أحدَ أهمّ التحدّيات والعقبات الكبيرة أمام المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ ومسيرة العودة، ولا سيّما أنّ المسيرات انطلقت عقب تعثُّر جهود المصالحة الفلسطينيّة، بعد حادثة تفجير موكب رئيس الوزراء في غزّة، وما صاحب ذلك من تجاذبات سياسيّة وإعلاميّة واتّهامات متبادلة بين الجانبين؛ فالانقسام الفلسطينيّ أحدث انقسامًا سياسيًّا ومؤسّساتيًّا وثقافيًّا وفكريًّا في المجتمع الفلسطينيّ، وهذا الانقسام الأفقيّ في أركان النظام السياسيّ والمجتمع الفلسطينيّ خلّف تداعيات على كلّ فعل فلسطينيّ.

تصدُّر حركة حماس المشهد

تَصَدُّرُ حركة حماس قيادةَ مسيرات العودة، وتراجُعُ دَوْر المجموعات الشبابيّة واللجنة العليا للإشراف على المسيرات، أفضيا الى تداعيات كبيرة على طريق استمرار وفاعليّة المسيرة، فقد أسهَمَ تَصدُّر حركة حماس مشهد قيادات مسيرات العودة والدعوة لها عبْر مساجدها وأجهزتها الإعلاميّة وتحويل مسارها من العودة إلى كسر الحصار، أسهم كلّ ذلك في إعطاء مبرّرات قويّة لإسرائيل والقوى الدوليّة والإقليميّة إلى اعتبار المسيرات عملًا سياسيًّا منظَّمًا من قِبَل الحركة، لا عملًا شعبيًّا غيرَ منظَّم، هذا الأمر أسهم في تركيز الضغط على حركة حماس لوقفها أو الحدّ منها عبر التلويح للحركة بإمكانيّة تخفيف الحصار وفتح المعابر، وهذا ما كان خلال زيارة وفد حماس للقاهرة قبل يوم فقط من مسيرة العودة الكبرى في الـ 14 من أيّار عام 2018.

وهذا ما حَدا بباسم نعيم (القياديّ في حماس) أن يقول في أحد مقالاته: "النجاح يحتاج إلى مقوّمات يتوافق عليها الجميع، ليس أقلّها: وطنيّة الحراك وتجنُّب أيّ مظاهر حزبيّة، إلى جانب الاستمراريّة والاستدامة. والأهمّ هو سلميّة الحراك، فأيّ عنف -مقصود أو غير مقصود- سيكون هديّة من السماء للاحتلال، ليبرّر عدوانه وإجهاض هذه الخطوة التاريخيّة التي يمكن أن تحشره في الزاوية على المستوى الدوليّ.[15] وهذا ما دعا إليه أيضًا الكاتب حسام الدجني عبر تأكيده على أنْ "لا يتصدّر فصيل بعينه صورة الأحداث"، منتقدًا ذهاب رئيس المكتب السياسيّ لحركة حماس إسماعيل هنيّة إلى القاهرة، في الـ 13 من أيّار الماضي "غير متسلّح بأيّ من أعضاء الهيئة الوطنيّة العليا لمسيرات العودة وكسر الحصار". وقال الدجني: "كان ينبغي أن تمثَّل هذه الهيئة بشخص على أقلّ تقدير، كي لا تمارَس الضغوط على فصيل بعينه؛ لأنّ هذا عمل وطنيّ يشارك فيه الجميع.[16]

[14] لمزيد من المعلومات، انظر الجدول 1 في نهاية الورقة.

[15] نعيم، باسم. مصدر سابق.

[16] صقر، أحمد. مصدر سابق.

الموقف الدوليّ والإقليميّ المناهض للمسيرات

لم يكن الموقف الدوليّ ولا الإقليميّ مرحِّبًا بمسيرات العودة، ولا سيّما موقف الولايات المتّحدة الأمريكيّة وبعض الدول العربيّة، التي رأت في المسيرة محاولة فلسطينيّة لرفض ما يجري التحضير لفرضه على المنطقة وعلى القضيّة الفلسطينيّة، ولذا اتّخذت الولايات المتّحدة وبعض القوى الدوليّة الأخرى مواقف مناهضة من المسيرة، واعتبرها المبعوث الأمريكيّ لعمليّة السلام دعوةً للعنف.

الموقف الأمريكيّ السلبيّ من المسيرات يُعزى إلى كون هذه المسيرات تتناقض مع مسار "صفقة القرن" الأمريكيّة، فإنّ إسهام مسيرة العودة في إسدال الستار على صفقة القرن وتجفيف بيئة التطبيع يعني المسّ بفرص خروج الشراكة الإستراتيجيّة بين إسرائيل والدول العربيّة إلى العلن.[17]

ولم تكتفِ واشنطن باتّخاذ موقف سلبيّ من المسيرات، بل عملت كذلك على توفير مظلّة حماية لجرائم إسرائيل في المحافل الدوليّة؛ فقد مَنعت الولايات المتّحدة أكثر من مرّة أن يَصدر بيان عن مجلس الأمن الدوليّ يُدين الاعتداءات الإسرائيليّة على المسيرات الفلسطينيّة في قِطاع غزّة، وهو ما دفع أمينَ سرّ اللجنة التنفيذيّة لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة، صائب عريقات، إلى إدانة الموقف الأمريكيّ، إذ قال إنّ "شعبنا الفلسطينيّ لا يستغرب تصريحات السيّدة "نيكي هايلي" الخرقاء التي أثبتت جدارتها بعدائها له، والتي من موقع الدونيّة تتماهى مع المصالح العنصريّة، والاستمرار في خرق القانون الدوليّ والأخلاق الإنسانيّة وحماية قوّة الاحتلال على حساب الشعب الفلسطينيّ الذي ضرب أرقى الأمثلة لشعوب الأرض في الصمود والصبر والتمسّك بحقوقه الوطنيّة المشروعة والتصدّي للطغيان".[18]
الموقف الأمريكيّ المناهض لمسيرات العودة يعود إلى كون المسيرات تحمل في طيّاتها طاقة كامنة للتأثير تأثيرًا فائقًا في البيئتين الإقليميّة والدوليّة؛ فإنْ تواصلت هذه الفعّاليّات وحافظت على وتيرتها، فإنّها ستقلّص على نحوٍ بالغٍ قدرةَ الأطراف الإقليميّة على التأثير في القضيّة الفلسطينيّة، وسوف تتيح للفلسطينيّين قدرة أكبر على رفض الطروحات الأمريكيّة التي ترمي إلى المسّ بحقوقهم المشروعة في دولة مستقلّة عاصمتُها القدس الشريف.

تراجع الزخم الشعبيّ

على الدوام عانت الساحة الفلسطينيّة من مشكلة هي الانقطاع عن مواصلة النشاط؛ فحتّى يُؤْتي النشاط أُكُلَهُ لا بدّ من مواصلته. وفي المعتاد، يكون النشاط قويًّا، ويقدّم الفلسطينيّون التضحيات الجسام ولا يبخلون، لكنّهم سرعان ما يملّون فيتوقّف النشاط وتضيع فرصة تحقيق النتائج التي يرغبونها. ولكي ينجح، لا بدّ من توافر ما يلي:[19]

1. لا بدّ من مواصلة النشاط وألّا يكون موسميًّا؛ فالمطلوب هو تكرار الحدث شهريًّا على الأقلّ، لئلّا يغيب عن الذاكرة الإعلاميّة والسياسيّة وعن الوعي الفرديّ والجمعيّ. النشاط الموسميّ ثبت فشله، وهو بحاجة إلى

[17] النعامي، صالح. (2018، 04 نيسان). مسيرات العودة وتأثيراتها على بيئة الصراع الإقليميّة. فلسطين اليوم.
[18] عبدالرؤوف، داوود. (2018، 07 نيسان). عريقات: نستغرب الموقف الأمريكيّ من مسيرة العودة. والحلّ رفع الحصار. العين الإخبارية.
[19] قاسم، عبد الستّار. مصدر سابق.

إنعاش مستمرّ، ولذا مطلوب من الفصائل الفلسطينيّة ألّا تتباين مواقفها بشأن حقّ العودة، وأن تشارك في النشاط وَفق جدول متّفَق عليه ومعلَن على الملأ.

2. توسيع نطاق النشاط بحيث لا يقتصر على غزّة؛ فغزّة تشكّل بيئة سياسيّة وثوريّة صالحة لنشاطات ضدّ الكيان الصهيونيّ، والمطلوب صياغة بيئات صالحة أخرى في جميع أماكن وجود الشعب الفلسطينيّ، ويجب أن يشمل الحراكُ الضفّةَ الغربيّة والأردن وسوريا ولبنان.

من أكثر التحدّيات التي عانت منها مسيرات العودة، عقب الجمعة الأولى، تَراجُعُ الزخْم الشعبيّ تراجعًا لافتًا. على الرغم من اندفاع الشباب للمواجهة مع قوّات الجيش الإسرائيليّ على الحدود، فإنّ الصورة عبْر شاشات التلفاز كانت تؤكّد تراجُعَ حدّة الزخْم الشعبيّ عقب الجمعة الأولى التي صادفت ذكرى يوم الأرض (2018/3/30)، وهذا يعود إلى عدّة اعتبارات؛ أهمّها الإجرام الإسرائيليّ والقتل العمد وتحويل مسار المسيرات من العودة إلى كسر الحصار، وتَصدُّر حركة حماس المشهد -وبخاصّة في ظلّ استمرار الانقسام الفلسطينيّ.

رابعًا: مستقبل مسيرات العودة في ضوء التطوّرات الجارية

لا شكّ أنّ ظاهرة مسيرات العودة فرضت نفسها على الساحات السياسيّة الدوليّة والإقليميّة والفلسطينيّة، وأصبحت جزءًا من المشهد السياسيّ والإعلاميّ، ولكن مع استمرار الإجرام الإسرائيليّ، وفشل المجتمع الدوليّ في توفير الحماية للشعب الفلسطينيّ في ظلّ الفيتو الأمريكيّ المتكرّر على أيّ قرار يُدين الممارسات الجرائميّة الإسرائيليّة، وفي ظلّ تراجُع حدّة الزخْم الشعبيّ نتيجة للعديد من الأخطاء التي وقعت فيها اللجنة الوطنيّة العليا، في ضوء كلّ ذلك، يمكن لنا وضع عدد من السيناريوهات والمقارَبات لمستقبل مسيرات العودة، وهي كالتالي:

سيناريو التصعيد

تصاعُد حدّة المسيرات في اتّجاه الحدود، ومشاركة أعداد كبيرة كما كان مخطَّطًا له من قِبَل منظّمي المسيرة، هو احتمال وارد وقابل للتحقُّق، ولكنّه واجَهَ العديد من التحدّيات الداخليّة والخارجيّة التي حالَتْ دون وصول مسيرات العودة إلى مرحلة التصعيد الشامل عبْر اندفاع أعداد كبيرة من أبناء الشعب الفلسطينيّ في أماكن تواجده كافّة تجاه الحدود، تحقيقًا للعودة ورفضًا للواقع ومحاولة تصفية القضيّة الفلسطينيّة.

حشد أعداد كبيرة باتّجاه الحدود مع إسرائيل في إطار انفجار سكّانيّ هو أحد أخطر السيناريوهات التي تخشى منها دولة الاحتلال الإسرائيليّ؛ لذا كان القلق الإسرائيليّ في بداية المسيرات -سواء على المستوى السياسيّ أو الأمنيّ- مَرَدّه إلى الخشية من تحوُّل مسيرات العودة إلى فعل سياسيّ عامّ تشارك فيه أعداد كبيرة من الجماهير الفلسطينيّة في غزّة وفي سائر المناطق الفلسطينيّة والعربيّة، الأمر الذي يشكّل خطرًا وجوديًّا على بقاء إسرائيل، لأنّ الصراع صراع وجود لا صراع حدود؛ فهل تصل الأمور مرّة أخرى في مسيرات العودة إلى مرحلة الانفجار الكامل؟

سيناريو التلاشي

التحدّيات الجمّة التي وقفت وتقف أمام طريق مسيرات العودة، في ظلّ الإجرام الإسرائيليّ والتشتّت الفلسطينيّ وتحويل مسار المسيرات من العودة إلى كسر الحصار، وتصدُّر حركة حماس للمَشهد، وفشل المجتمع الدوليّ في توفير حماية للشعب الفلسطينيّ، كلّ تلك العوامل يمكن أن تؤدّي إلى تراجع المسيرات تراجعًا كاملًا، وإلى تلاشي الظاهرة التي فرضت نفسها على البيئة الدوليّة والإقليميّة خلال الأسابيع الماضية.

على الدوام كان النضال الفلسطينيّ يتصاعد فترات ويهبط فترات أخرى، وهذا دائمًا كان مرتبطًا بالتطوّرات الدوليّة والإقليميّة؛ فعلى الرغم من ضيق مساحة فلسطين، فإنّها تتأثّر بالبيئتين الدوليّة والإقليميّة وتؤثّر فيهما، وبالتالي تَراجُعُ المسيرات تراجعًا كاملًا أمر وارد ومحتمل، ولا سيّما إذا شنّ الجيش الإسرائيليّ عدوانًا جديدًا على قِطاع غزّة -كما يهدّد قادة الاحتلال الإسرائيليّ خلال الأيّام الأخيرة.

انتهاء مسيرات العودة أمر وارد، لكنّه صعب في ظلّ إصرار الفصائل والقوى السياسيّة والمجتمعيّة الفلسطينيّة الحفاظ على استمرار المسيرات على الرغم من جملة التحدّيات التي واجهتها؛ فهل يصل قطار المسيرات إلى المحطّة الأخيرة؟

سيناريو المراوَحة في المكان

رغم التحدّيات الكبيرة التي واجهت وتواجه طريق مسيرات العودة كما أوضحنا سابقًا، وإصرار القوى السياسيّة والمجتمعيّة على التمسّك بفكرة المسيرات التي شكّلت فرصة للشعب الفلسطينيّ لرفض الواقع والمخطّطات الدوليّة، كلّ ذلك يجعل المسيرات تُراوح مكانها بين التصعيد والتلاشي.

سيناريو استمرار المسيرات بصورة محدودة كلّ جمعة هو السيناريو المرجَّح لمستقبل مسيرات العودة، ولا سيّما في ظلّ استمرار المعطيات الدوليّة والإقليميّة التي تحيط بالساحة الفلسطينيّة والأوضاع في قِطاع غزّة على وجه التحديد.

ظاهرة كظاهرة مسيرات العودة لن تنتهي على نحوٍ سريع، على الرغم من التحدّيات والعقبات الخارجيّة والداخليّة التي تعترض طريقها؛ وذلك أنّها لم تأتِ من فراغ، بل جاءت ردَّ فعل من شعب ضاق ذرعًا بكلّ المخطَّطات الدوليّة والإقليميّة التي تستهدف وجوده وبقاءه على هذه الأرض.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن التأكيد على النقاط التالية:

- مسيرات العودة هي فعل فلسطينيّ وطنيّ عامّ جاء للردّ على الموقف الأمريكيّ من القدس، وتأكيدًا على الحقوق الوطنيّة الفلسطينيّة وفي مقدّمتها حقّ العودة.
- جاءت المسيرات نتيجة لأسباب ودوافع خارجيّة تتعلّق برفض الموقف الأمريكيّ من القدس والمخطّطات لتصفية القضيّة الفلسطينيّة، فضلًا عن أسباب ودوافع داخليّة فلسطينيّة تتعلّق بتعثّر طريق المصالحة الفلسطينيّة، واستمرار الأزمة الإنسانيّة في غزّة.
- خلال الفترة الماضية، تعرّضت مسيرات العودة للعديد من التحدّيات، كان أهمّها الإجرام الإسرائيليّ ضدّ المتظاهرين وعمليّات القتل المتعمّد، وفشل المجتمع الدوليّ في توفير حماية للشعب الفلسطينيّ، وتحويل مسارها من العودة إلى كسر الحصار، إضافة الى تَصدُّر حركة حماس مشهدَ قياداتها.
- على الرغم من التحدّيات الجمّة التي اعترضت طريق المسيرات، ما زالت قادرة على إزعاج الاحتلال الإسرائيليّ وإفشال المخطّطات الأمريكيّة لتصفية القضيّة الفلسطينيّة، لكن هذا الأمر يحتاج إلى إستراتيجيّة وطنيّة شاملة، تعمل على تعزيز نقاط القوّة وتَلافي نقاط الضعف.
- لن تنتهي مسيرات العودة سريعًا؛ فهي ظاهرة جاءت انعكاسًا للوضع السياسيّ القائم، لكنّها لن تصل إلى مرحلة التصعيد الشامل إلّا إذا تخلّصت من كلّ العقبات التي حالت دون تحقيق أهدافها بصورة كاملة.